

النفس... بين الاعجاز القرآني... ونظريات علم النفس

مقالة

د. هدى عيسى ابراهيم الجبوري

المديرية العامة لتربية بابل

The Self between Quranic Miracles and Theories of Psychology**Dr. Huda Essa Ebraheem Al-Jubori****Directorate of Education Babylon**Dr.Huda.aljubori@gmail.com**Abstract**

The miraculous "verses" of the Holy Quran for Science and Scientists It was and still, the Scientist (Freud) has been unable to Quran in his theory „types of self's“ (Self's) which he defined it, and it corresponding in the Quran with specific words, that the self's (is certainly prone to evil) meet (Id) and (the self rest and satisfaction) meet (Ego) and (the self-reproaching) meet (Super Ego).

المخلص

ان اعجاز آيات القرآن الكريم للعلم والعلماء كان ولا زال مستمراً، فالعالم فرويد قد اعجزه القرآن الكريم في نظريته وأنواع النفس (الانا) التي حددها، وقابلها القرآن الكريم بكلمات معدودة محددة وهي النفس (الامارة بالسوء) تقابل (الهو - الذات الدنيا) والنفس المطمئنة تقابل (الذات الواقعية) والنفس اللوامة تقابل (الذات العليا).

النفس... بين الاعجاز القرآني... ونظريات علم النفس

لقد ذهب بعض الفلاسفة الاوائل قبل الميلاد بزمانٍ طويل الى الخلط الكبير بين الروح والنفس والعقل وظلّوا لقرون يجادلون في طبيعة النفس وخلودها وعن مصير الانسان وحاولوا ان يصفوا ويفسروا النفس واحثاروا في مسألة العلاقة بين الروح والنفس والجسم، حتى جاء القرآن الكريم وقال كلمته الفصل وحسم هذه المسألة بآيات بينات، فقد ميز القرآن الكريم بين الروح والنفس، فقال سبحانه وتعالى في الروح: بسم الله الرحمن الرحيم (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۗ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي... الآية (85) سورة الاسراء، وفي النفس: بسم الله الرحمن الرحيم (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)) صدق الله العلي العظيم (سورة الشمس). فقال فيها العالم والفيلسوف الاسلامي (ابن سينا) في قصيدة مشهورة له في علم النفس مطلعها ((هبطت إليك من المحل الأرفع..... وراق ذات تعزّز وتمنع))

فالنفس (لغةً): تعني الروح ويقال فلان جاد بنفسه او خرجت نفسه اي مات ويقال جاء هو بنفسه او نفسه، وجمعها نفوس او أنفس ويقال فلان ذو نفس اي ذو جلد وخلق، وفلان يؤامر نفسه اي له رأيان لايعلم علي ايها يثبت ويستقر، كما يقال (نفسى - قصدي - مرادي) وتعني كلمة النفس الشيء المشار اليه وعادة ما تتعلق بالفرد نفسه وطبيعته ومصالحته الشخصية.

و(اصطلاحاً) تعني: كيان الانسان واساس وجوده وما يدل على تأثيره في بيئته وعمله ومجتمعه.

وممن عرفوها (كارل يونك): بأنها عبارة عن محتويات تتكون من امور واعية واخرى غير واعية و نضح النفس عملية فردية هدفها الوصول الى الشخصية الصحية.

واختلف علماء النفس في تعريفاتهم للنفس باختلاف وجهات نظرهم ومدارسهم التي ينتمون اليها وبالتالي في تفسيرهم للشخصية والسلوك الانساني ومن العلماء الاوائل الذين وضعوا نظرية في الشخصية والتي كان لها الاثر الكبير في مسيرة وتطور علم النفس هو العالم والطبيب النمساوي (سيجموند فرويد 1865-1939) صاحب نظرية (التحليل النفسي Psychoanalysis Theory) فكان نظامه لتحليل الشخصية اول نظرية منهجية للشخصية فقد اثبت بأدلة قوية وجود حياة نفسية (لاشعورية Unconscious) الى جانب الحياة النفسية الشعورية لا يفطن الفرد الى وجودها لكنها مع ذلك تحرك سلوكه وتوجهه على غير علم و ارادة منه وكثيراً ما تكون سبباً في ظهور اضطرابات نفسية او عقليه لديه وقد حدد في نظريته تركيبات رئيسية ثلاثة في بنية الشخصية متمثلة ب: (الهو-Id) (الذات الدنيا)، النظام الاصلي والاقدم للشخصية يقابل ويمثل انطباع فكرة فرويد الاول عن اللاشعور وهو المستودع لكل الغرائز فهي تتصل بشكل مهم ومباشر بإرضاء الحاجات الجسمية وتعمل الهو على وفق ما يسميه فرويد مبدأ اللذة اي انها تعمل من اجل تجنب الالم وزيادة اللذة عن طريق اهتمامها بخفض التوتر وهي لا تتسامح في التأجيل أو تأخير ارضاء حاجاتها لأي سبب سواء كان خلقياً (بسبب العادات الاجتماعية) او لأسباب اخرى، فتحاول الهو اشباع حاجاتها عن طريق الافعال الانعكاسية كأحلام اليقظة والخيال، اما التركيب الثاني للشخصية عند فرويد فهو (الانا Ego- (الذات الواقعية) حيث تمتلك وعياً للواقع وهي قادرة على ادراك بيئة الفرد والتلاعب بها بطريقة عملية، وهي تعمل على وفق ما يسميه فرويد مبدأ الواقع ويمكن ان تمثل (الانا) على انها السيد العاقل للشخصية فهي تحدد الاوقات والاماكن والاشياء التي ستشبع نزوات (الهو) بشكل مناسب ومقبول اجتماعياً، وانها لا تمنع ارضاء (الهو) الا انها تحاول اعادة التوجيه والارضاء ليتلاءم مع متطلبات الواقع فوظيفتها السيطرة وتأخير الرغبات والا فان نزوات (الهو) ستتغلب وتطيح ب (الانا)، وعليه فان نوع العلاقة بين هاتين القوتين هي علاقة (صراع دائم)، ولكن هناك مجموعة ثالثة من القوى، مجموعة من القوة الامرة او المعتقدات الفعالة وهي لا شعورية غالباً ويسميتها فرويد (الانا الاعلى - Super Ego) (الذات العليا والمثالية) وهذا الجانب من الشخصية هو جانب الاخلاق يتعلمها الفرد في الطفولة وهي افكاره عن الصالح والطالح وتتألف بداية من قواعد السلوك التي يضعها الوالدان عن طريق الثواب والعقاب فتصبح جزءاً من (الضمير) الذي هو احد اقسام الانا الاعلى ولذلك يشعر الفرد الراشد بالإثم عندما يفكر بالقيام بعمل يناقض اخلاق المجتمع، ان هذا البناء للشخصية يبين ان (الانا) ان لم تكن قوية مسيطرة فهي لا تستطيع ان تنظم العمل بين متطلبات (الهو) الجامحة وبين متطلبات (الانا الاعلى) السيد الحاكم بالمثل العليا فاذا كانت (الانا) ضعيفة سيظهر بصورة حتمية التردد والقلق الذي يلزم الشخصية فتصبح الشخصية آنذاك شخصية عصابية.

اعجاز آيات القرآن الكريم

قال تعالى في الآية (53) من سورة يوسف (...إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ...) جاءت هذه الآية لتقابل عند فرويد (الهو Id الذات الدنيا) وهي الشيطان والشر والحيوان وهي طبيعة الانسان التي طبع عليها تريد ان تستأثر بكل المال وتهيمن على كل الأشياء وتنازع من اجل البقاء والسيطرة منذ تكونها جنينياً وحتى اخر لحظات حياتها بما يسمى النزغ الاخير وتسعى ان تكون حرة بلا رادع اخلاقي او ديني او قانوني وبدون اي ضوابط. وقوله تعالى في الآية (27) من سورة الفجر: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) فتقابل هذه الآية (الانا Ego) (الذات الواقعية العقلانية) وتشكل حالة وسطية بين الخير والشر وبين الملائكية الحيوانية... تتصالح معهما وتسعى لان تكون حرة ولكنها مقيدة فلا تطلق العنان للهو على حساب الانا الاعلى او الاخرى على حساب الاولى.

وقال تعالى في الآية (2) من سورة القيامة (وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) فهذه الآية تقابل (الانا الاعلى) (الذات العليا او المثالية) وهي النقيض تماماً للهو هي الملاك والمثال والخير والاخلاق وهي مكتسبة من الاسرة والمجتمع والدولة والدين وهي تنشذ الحرية من غرائزها ومن الشيطان والشر ومن نوازعها الحيوانية لتسموا عالياً في عالم المثل والمبادئ والاخلاق والقيم السامية وتعيش من اجل الغير.

فهذه الآيات الكريمة خير شاهد على ان القرآن الكريم قد سبق العلماء ونظرياتهم الحديثة بمئات السنين في ذكر النفس البشرية وكشف اسرارها وفي مواضع عديدة، فقد حدد انواع النفس او انواع (الانا) حسب نظرية (فرويد) التي تتكون منها الشخصية الانسانية التي حللها وفسرها العلماء واختلفوا في اراءهم ونظرياتهم فيها وكتبوا عنها واسهبوا، وباعجاز آياته البيّنات وبكلمات معدودات اوجز ما قالوا وما كتبوا...،.....فما قوله تعالى (.....وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا)

الا دليل على ان الله سبحانه وتعالى.....رب السموات.....و رب الارض.....

معجز البشر وعلمهم...الى يوم الدين